الأستاذ : زلافي إبراهيم
قسم الأدب العربي تخصص: النقد الأدبي- كلية اللغة العربية و آدابها جامعة المسيلة

من الأسس الهامة التي تقوم عليها الترجمة: الموضوعية و الأمانة، و لذلك يتعين على المترجم أن يتخلص من كل الأحكام المسبقة و من كل دوافع التعصب أو التحيز لعرقه أو لديانته حتى تكون نتائج بحثه علمية و دقيقة وأمينة. إلا أن بعض المستشرقين تعمدوا إثبات النقص والخطأ والتناقض في ترجماتهم لمعاني القرآن الكريم نتيجة لميولهم الذاتية ورغبتهم الواضحة في ذلك.

1- مفهوم الترجمة:

أ* الترجمة لغة: وردت في اللغة العربية بأربعة معاني هي:

* أولها: تبليغ الكلام لمن لم يبلغه، و منه قول الشاعر:

إن الثمانين و بلغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان[1].

* ثانيها: تفسير الكلام بلغته التي جاء بها، و منه جاءت تسمية ابن عباس– رضي الله عنه- بترجمان القرآن[2].

* ثالثها: تفسير الكلام بلغة غير لغته، و الترجمان هو المفسر للكلام [3].

* رابعها: نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى، و قد جاء في لسان العرب: الترجمان بالضم و الفتح هو الذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى أخرى[4].

ب* الترجمة اصطلاحاً: هي التعبير عن معنى كلام في لغة بكلام آخر من لغة أخرى، مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده[5].

ج* أقسام الترجمة: تنقسم الترجمة إلى قسمين:

* الترجمة الحرفيّة: فهي ترجمة نص من النصوص إلى لغة أخرى مع المحافظة على معانيها و مقاصدها في النص الأصلي[6]. تراعي محاكاة الأصل وفيها يستبدل المترجم كل

كلمة في الأصل بكلمة تساويها في اللغة الأخرى. فالترجمة بهذا المعنى لا تحافظ على سياق الأصل و لا تحيط بجميع معانيه [7].

*الترجمة التفسيرية: هي بيان معنى الكلام بلغة أخرى من غير تقييد بترتيب كلمات الأصل أو مراعاة لنظمه[8]. و هنا يركز المترجم على المعنى المراد بالجملة فينقله إلى لغة أخرى موافقًا لما أراده صاحب الأصل دون التزام باستبدال كل كلمة بنظيرتها في اللغة الأخرى.

2*صعوبة ترجمة معاني القرآن الكريم:

تعد ترجمة القرآن الكريم من أصعب المحاولات في ميدان الترجمة، و يرجع ذلك إلى مصدره الإلهي أولاً، و إلى لسانه العربي ثانياً، حيث نجد أن اللغة العربية تختلف عن سائر اللغات الأخرى في تكوين الجملة، كتقديم الفعل على الفاعل و الموصوف على الصفة، و غيرها من الصفات، كما أنها تشتمل على الاستعارة و التمثيل و القلب و التقديم و التأخير و الحذف و التكرار و الإخفاء و الإظهار و التعريض و الإفصاح، و مخاطبة الواحد، و الواحد و الجمع خطاب الاثنين، إلى غير ذلك من الصور.

يقول **صلاح الدين كشريد**: « إني وجدت بالفعل صعوبات جمة في ترجمة بعض الكلمات القرآنية مثل: الأمة، الحق، الفاسقون، اللطيف، البر، المعروف، المنكر، و حزب بما لها من معان مختلفة، و مع ذلك و على الرغم من حرصي الشديد على ذكر كل التأويلات الممكنة للآية الواحدة، فلا يمكن للنص الفرنسي، أن يلم بكل المعاني التي توحي بها الآية القرآنية، و لكن الترجمة تمثل ما توصل إليه اجتهاد المترجم نفسه و فهمه الخاص، مما يقرب معاني القرآن من عقول القراء بالفرنسية»[9].

3*أهداف المستشرقين من ترجمة القرآن الكريم:

استخدمت ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية ثم إلى اللغات الأوربية، كسلاح من طرف طائفة من المستشرقين المتعصبين لمحاربة القرآن الكريم، و تثبيط دوره، و الكشف عن المواطن التي يمكن محاربته منها.(كما كانت فكرة التبشير هي الدافع الحقيقي خلف انشغال الكنيسة بترجمة القرآن)[10]. و قد شهدت هذه

الفكرة توسعا ملحوظا من خلال تنقلات المبشرين المسيحيين، و تهافت المستشرقين على ترجمة القرآن الكريم، و الدليل على ذلك ما أكده المستشرق اليهودي زويمر أن الترجمة التي أمر بها" بطرس المحترم" عام **1143**م، (تمت بدافع تنصيري).[11] كما أن أول نصوص مترجمة من القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية، قد جاءت ضمن (كتاب " الجدل " الذي ألفه" ابن الصليبي مطران" (ت **1171**م)، و هو كتاب مخطوط بالسريانية)[12].

جاء في المقدمة التي ارفقها جورج سيل لترجمة القرآن قوله:

« كانت فكرة ترجمة القرآن هدفا لتسليح النصارى البروتستانت في حربهم التنصيرية ضد القرآن، لأنهم و حدهم قادرون على مهاجمته بنجاح، و أن العناية الإلهية قد ادخرت لهم مجد إسقاطه »[13]. كونت هذه الأفكار الحاقدة على القرآن الكريم سدا منيعا منع الأوربيين من الإطلاع على حقيقة القرآن الكريم و أورثتهم العداوة و البغضاء.

كما أسندت مهمة ترجمة القرآن الكريم إلى أشخاص لا تتوفر فيهم الشروط المطلوبة، فعاملوا القرآن على أنه نص بشري، و ذلك لإبعاد الأوربي عن الإفادة منه، و لبناء حاجز نفسي بينهما. و كان من نتائج هذا التشويه، أن قام الكثير من الكتاب الغربيين بسياقة الكثير من المطاعن و الشتائم ضد القرآن الكريم [14]. و قد جمع محمد صالح البنداق وجوه تشويه الترجمات في النقاط التالية :

- اختيار الترجمة الحرة بدلا من الترجمة العلمية، بهدف التحريف و التضليل، مما يسهل تحوير المعاني و تبديلها وتقديم النص حسب أهواء المترجم.
- إزاحة الآيات عن مكانها التوقيفي لتضليل القارئ الأوربي و إبعاده عن حقيقة القرآن .
- التصرف الحر في النص من خلال التقديم و التأخير و الحذف و الإضافة - إضافة المقدمات و الملاحق، حيث أضاف المترجمون إلى نصوص الترجمات المشوهة للقرآن الكريم، مقدمات تفسيرية و ملاحق شارحة على شكل جدليات ضد أصالته، و

سخرية من محتواه و محاولات للحط منه [15].

كما كانت الترجمة وسيلة لتحريف القرآن الكريم، و التقليل من أهمية دراسته، حتى ينفر منه القارئ الغربي، و في هذا يقول **محمد رشيد رضا**:« إن ترجمات القرآن التي يعتمد عليها علماء الإفرنج في فهم القرآن كلها قاصرة عن أداء معانيه التي تؤديها عباداته العليا، و أسلوبه المعجز للبشر، و هي أنما تؤدي بعض ما يفهمه المترجم له منهم، أن كان يزيد بيان ما يفهمه، و أنه لمن الثابت عندنا أن بعضهم تعمدوا تحريف كلمة من مواضعه، على أنه قل ما يكون فهمهم تاماً صحيحاً، و يكثر هذا فيمن لم يكن به مؤمناً، بل يجتمع لكل منهم القصوران كلاهما : قصور فهمه و قصور لغته» [16].

يقول **جون تاكلي**: « يجب أن نستخدم القرآن و هو أمضى سلاح ضد الإسلام نفسه، بأن نعلم هؤلاء الناس-يعني المسلمين- أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، و أن الجديد ليس صحيحاً»[17]. و يقول المستشرق وليم جيفورد: « متى توارى القرآن و مدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيداً عن محمد و كتابه»[18].

يقول **محمد أبو ليلة** عن الغرض من ترجمة المستشرقين للقرآن الكريم:« انبرى المبشرون و المستشرقون بتوجيه كنسي لترجمة القرآن، و كان الغرض من ترجمته في الأصل هو تحريفه و تشويه معانيه، و تقبيحه في أعين عوامهم، خوفاً من أن يتأثروا بالإسلام الذي كان ينتشر بسرعة فائقة في أوساط أهل الأديان الأخرى، و بخاصة النصارى منهم»[19].

كما حرص المستشرقون على إعطاء صورة مشوهة عن المسلمين و عن الرسول (ص) لزرع الحقد و الكراهية في نفوس الأوربيين، فقد نطقت ألسنتهم بالحقد الذي سكن قلوبهم فزعموا: « إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس ... بل هو مرض مريع و شلل عام و جنون ذهولي يبعث على الخمول و الكسل، و لا يوقظه منها إلا ليسفك الدماء و يدمن على معاقرة الخمور و يجمح في القبائح ،و ما قبر محمد إلا عمود كهربائي يبعث الجنون في رؤوس المسلمين و يلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع العامة

الذهول العقلي إلى ما لا نهاية... و التعود على عادات ستنقلب إلى طباع أصلية ككراهية لحم الخنزير و النبيذ و الموسيقى» [20].

و يتحدث **محمد أبو ليلة** عن الدور الذي لعبته هذه الترجمات المشوهة في زرع الحقد و الكراهية في نفوس الأوربيين ضد المسلمين، إذ يقول:« فإن هذه الترجمات السيئة قد قامت بدور كبير في زيادة حدة العداء بين جماهير النصارى و بين المسلمين و الإسلام، و لقد أفرخت بالفعل أدباً أوربياً، أو بالأحرى صليبياً معادياً للإسلام، كان هو الذي شكل العقلية الأوربية المتعصبة، التي لا تزال حتى اليوم» [21].

و على الرغم من إدعاء المستشرقين الحياد و النزاهة العلمية في ترجماتهم للقرآن الكريم، إلا أنهم يسلكون كل مسلك يخدم مآربهم و يحقق أهدافهم،و يظهر ذلك فيما يلي:

1- سيطرة الذاتية على الموضوعية:

إذا أخذنا بالقول أن الاستشراق بدأ بتشجيع من الكنيسة و رجال الدين،فإن الاهتمام الديني يعد أول دافع للاستشراق. يقول **إدوارد سعيد**:« إن الاستشراق السامي و الاستشراق الإسلامي لم يكونا قد حررا نفسيهما، إلا إلى درجة ضئيلة جدا، من إسار الخلفية الدينية التي انشقا منها أصلا» [22] .

و تظهر بدايات الاستشراق الكنسي من خلال الخطاب الذي وُجِهَ إلى مؤسس كرسي اللغة العربية في جامعة كمبردج في 9مارس 1636م، جاء فيه: « و نحن ندرك أننا لا نهدف من هذا العمل إلى الاقتراب من الأدب الجيد بإلقاء الضوء على المعرفة و هي ما تزال بعد محتبسة في نطاق هذه اللغة التي نسعى لتعلمها، و لكننا نهدف أيضاً إلى تقديم خدمة نافعة إلى الملك و الدولة عن طريق تجارتنا مع الأقطار الشرقية ، و إلى تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة و الدعوة إلى الديانة النصرانية بين هؤلاء الذين يعيشون الآن في الظلمات» [23] .

يقول **محمد البهي**: « هذه وجهة نظر ربما لا تجد مرجعا مكتوبا يؤيدها غير أن الظروف العامة، و الظواهر المترادفة في كتابات هؤلاء المستشرقين تعزز وجهة النظر

هذه، و تخلع عليها بعض خصائص الاستنتاج العلمي، و يمكننا تلخيص غايات هذا الهدف في نقاط:

1* زعزعة إيمان المسلمين بقرآنهم و نبيهم .

2* تشكيك المسلمين في الشريعة الإسلامية، فالدراسات الاستشراقية الحديثة تحاول" التركيز على أهمية القوانين الوضعية و تطبيقها على المسلمين بدلا من شريعة القرآن".

3* حجب محاسن الإسلام عن العقل المسيحي حتى لا يقتنع به ثم يعتقده.

4*زرع تخاذل روحي و شعور بالنقص في نفوس المسلمين» [24].

يقول **برنار لويس** :« لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين، و مستترة في الغالب وراء الحواشي الموضوعة في الأبحاث العلمية» [25] .

إن هذا الحكم ليس حكما عاما على جميع المستشرقين، فهناك نفر منهم قد حاول التزام الحياد و الموضوعية في دراساتهم و كتاباتهم حول الشرق.

يقول **عبد الرحمن الميداني**:« و سقطت معظم الجامعات المنشأة في بلاد المسلمين تحت الأيدي الخفية للاستشراق و التبشير و الدوائر الاستعمارية، و غدت خططها و مناهجها و توجهاتها تخضع بطريق غير مباشر لما تفرضه و تمليه هذه الأيدي الخفية..... » [26] .

لقد حقق المستشرقون الحاقدون على الإسلام هدفهم، من خلال سيطرتهم على منابر التعليم في الجامعات الإسلامية، حتى يتعلم المسلمون أمور دينهم و لغتهم و حضارتهم وفق ما تخطط له أيدي أعدائهم، بما يخدم أغراض و أهداف الكنيسة.

و يمثل هذا الجانب مجموعة من المستشرقين منهم:

*** بطرس الموقر Pierre le vénérable (1092-1157) راهب دومينكاني، و هو من أشهر رجال الكنيسة المتعصبين، كان رئيساً لدير كلوني (Cluny)، قام بحملة واسعة ضد القرآن الكريم و الاسلام، تولى مهمة الإشراف على ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية و استخدم لذلك رجالا من الكنيسة لهم دراية واسعة باللغة**

العربية، و على صلة بالمسلمين، و دراية بالقرآن الكريم[27] و هم:

- " بيير الطليطلي Pierre de Tolède"

- " روبرت الرتيني" Robert de Rétine

- "هرمان الدلماتي" Herman Alemanus

و قد أسس بطرس الموقر فروعاً لدير كلوني (Cluny) في أنحاء أوربا من أجل جمع المعلومات عن القرآن الكريم و عن الرسول (ص). و نشر مؤلفات جدلية ضد القرآن الكريم تحت عنوان: المجموعة المختصرة من الوثائق الشيطانية المضادة للطائفة الإسلامية الكافرة. كما نشر" روبرت الرتيني" Robert de Rétine الذي كان قائماً على ترجمة القرآن الكريم مقدمة على شكل رسالة بعث بها إلى" بطرس الموقر. و قد ألّف " هلمان الدلماتي " ثلاثة رسائل تعبر عن شدة التعصب و تدل على سيطرة الميول الذاتية و هي:

- عقيدة محمد

- ميلاد محمد و نشأته

- أخبار المسلمين المعيبة المضحكة [28].

يقول الراهب الإنجليزي **روبرت الرتيني** Robert de Rétine: « لقد كشفتُ بيدي قانون المدعو محمدًا ويسّرت فهمه وضممته إلى كنوز اللغة الرومانية لمعرفة أسس هذا القانون حتى نتجلى أنوار الرب المسيح على البشرية ويعرف الناس حجر الأساس يسوع »، ويقول مثنيًا على بطرس المحترم رئيس ديركلوني الذي كلّفه بالترجمة: « لقد رأت كنيسة كلوني في بطرسها ما رآه السيد المسيح في رفيقه بطرس، ويجب أن يُشكر لتعريض مبادئ الإسلام للضوء، بعد ما سمح الدارسون في الكنيسة لهذا الكفر أن يتسع ويتضخم وينتشر لمدة خمسمائة وسبعة وثلاثين عامًا، وقد وضّحت في ترجمتي في أي مستقنع أسن يعشعش مذهب السراسين (أي المسلمين). لقد قشعتُ الدخان الذي أطلقه محمد، لعلك تطفئه بنفخاتك يا بطرس الكلوني » [29].

جاء في عنوان ترجمة **موركيوندو لمعاني** القرآن باللغة الأسبانية ما نصه: القرآن مترجمًا بأمانة إلى الأسبانية ومعلقًا عليه ومدحضًا طبقًا للعقيدة والتعاليم المقدسة والأخلاق

الكاملة للدين الكاثوليكي المقدس الرسولي الروماني [30]. وهي عبارة تنضح بالتعصب وتؤكد دخول المترجم إلى عمله بميول ذاتية ضد القرآن الذي يتولى ترجمة معانيه.

جاء في تصريح جورج سيل (1697- 1736)George Sale : في مقدمة ترجمته لمعاني القرآن، بأن هدفه منها تسليح النصارى البروتستانت في حربهم ضد الإسلام والمسلمين، لأنهم وحدهم قادرون على مهاجمة القرآن بنجاح، وذكر بأنه واثق بأن العناية الإلهية قد ادخرت للنصارى البروتستانت مجد إسقاط الإسلام [31]. وقد جزم في هذا المقدمة بأن محمدًا هو مؤلف القرآن فقال: «أما أن محمدًا كان هو حقيقة مؤلف القرآن والمحتال الرئيسي في تأليفه فهو أمر لا خلاف فيه، ولو أنه من المرجح كثيرًا أنه قد تلقى عونًا ليس بالقليل من الآخرين في تخطيطه لأن مواطنيه لم يسكتوا عن الاعتراض عليه » [32].

ومع أن هذا الميل الذاتي والتعصب النصراني كافٍ لإسقاط القيمة العلمية لهذه الترجمة إلا أن كثيرًا من المستشرقين والمنصرين أكدوا بأن لها قيمة مهمة لدراسة الإسلام، و هذا ما أكده صموئيل زويمر عن هذه المقدمة، و وصفها مونتجمري وات بأنها: (وصف موضوعي للإسلام) [33].

وقد علق أحمد غراب على هذا الوصف بقوله:« ولعل وصف **مونتجمري وات** Watt Montgomery. لمقدمة جورج سيل بالموضوعية بعد ما عرفناه عن محتواها ودوافعها واستعمالاتها على أيدي المنصرين يُلقي الضوء على مفهوم الموضوعية والإنصاف عند المستشرقين » [34].

2- إضافة مقدمات أو ملاحق تطعن في القرآن وتُنشر مع ترجمة معانيه:

ومن الأمثلة على ذلك:

أ – أضيف إلى ترجمة **روبرت الرتيني** Robert de Rétine الإنجليزي و الألماني هرمان الدالماتي (ت:1172م)Herman Alemanus ستة ملاحق، سُمّيت بمجموعة ديركلوني ومنها:

أ- أمة محمد ونشوزها، وتاريخ المسلمين وأخبارهم المعيبة المضحكة، ومجموعة

مختصرة من الوثائق الشيطانية المضادة للطائفة الإسلامية الكافرة.

ب – أضيف إلى ترجمة الراهب الإيطالي لودوفيجو مرتشي لمعاني القرآن كتاب (الرائد إلى الرد على القرآن).

ج - قدّم جورج سيل لترجمته لمعاني القرآن بمقدمة جدلية ضد القرآن، يعتبرها كثير من المنصرين مرجعًا مهمًّا للجدل ضد القرآن [35].

3- الجهل باللغة العربية:

ادعى المستشرقون الفهم لمعاني الألفاظ في اللغة العربية، وإتقان المعرفة لدلالاتها و أصدروا أحكاما على القرآن تقدح في عربية بعض ألفاظه أو سلامة معانيها بالمقارنة مع بعض النصوص المنسوبة للشعر أو النثر الجاهلي[36]. إلا أن هذه الادعاءات لا تصمد أمام النقد العلمي القائم على تتبع هذه الترجمات، ورصد مدى المعرفة التي يتمتع بها أصحابها لمعاني الألفاظ في اللغة العربية.

و مثال على ذلك ما جاء في الترجمات التالية:

ترجم جاك بيرك قول الله تعالى: ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [37].

Dieu avait guidé les croyants à diverger, avec son autorisation ; sur tels points de la vérité. [38]

فجاءت ترجمة هذه الآية محرفة بعيدة عن المعنى المراد:(لكن الله هدى المؤمنين إلى الاختلاف بموافقته حول نقاط معينة من الحقيقة).

* à diverger , avec son autorisation;: هذه العبارة تعني (إلى الاختلاف بموافقته).

و لم يهد الله الناس إلى الاختلاف و إنما هداهم إلى الحق، فترجمة العبارة تكون: (vers la part de vérité) وهو معنى غير صحيح.

ترجم جاك بيرك الآية الكريمة:﴿ وَ مَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَ مَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاّ تَخْوِيفًا﴾ [39].

Une seule chose Nous retient d'envoyer des prodiges à l'appui : c'est que les anciens en ont fait matière à démenti. N'avons-nous pas donné à Thamud la chamelle pour les éclairer ? Elle leur fut prétexte à

sombre iniquité .Aussi désormais n'envoyons-Nous plus de signes à l'appui que effrayer. (40)

لم يحافظ المترجم على معنى الآية الكريمة، فجاءت ترجمته(شيء واحد يمنعنا من أن نرسل المعجزات المؤيدة و هو أن الأولين اتخذوها مادة للتكذيب. ألم نعطي ثمود الناقة لتبصِّرهم؟ لقد كانت حجة لجورِهم المظلم. و من هنا فصاعدا لن نرسل العلامات المؤيدة إلا للتخويف).

Une seule chose Nous retient d'envoyer des prodiges à l'appui

هذه العبارة لا تؤدي المعنى الصحيح للآية الكريمة، و الترجمة الأقرب إلى الصواب هي:

N'avons-nous pas donné à Thamud la chamelle pour les éclairer ? miracles. Rien ne Nous empêche d'envoyer

عبارة لها معنى: (ألم نعطهم الناقة لتُبَصِّرهم؟)، و هو معنى بعيد جدا عن معنى الآية الكريمة، و الصواب أن تكون ترجمة العبارة:

Nous avions apporté aux Thamud la chamelle qui était un miracle visible

ترجم (ماكس هاننج) Max Henning لفظة الإبل إلى اللغة الألمانية بكلمة فولكن WOLKEN التي تعني السحاب ، في قوله تعالى:

﴿ أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَت ☎ (41) وهو خطأ واضح لا يقع فيه إلا من لم يكن له أدنى معرفة بمعاني الألفاظ في اللغة العربية (42).

4-التشكيك في اعجاز القرآن الكريم:

قارن بيرك بين إعجاز القرآن الكريم و قوة القصيدة الشعرية الجاهلية،فخرج بنتيجة أن قوة القصيدة الشعرية تكمن فيما سماه بصدمة النفي المزدوجة التي تنشأ من الفراغ الذي يشعر به الشاعر لحظة التباكي على الديار أو على الحبيبة، و هذا النفي المزدور انتقل إلى القرآن في عبارة "لا إله إلا الله" و قد تولد عن هذا ما يسمى إعجاز القرآن. يقول بيرك:

«Le thème principal de l'ancienne poésie était l'élégie sur le campement abandonné. Le poète accomplissant l'un de ses longs itinéraires de chamelier arrive à l'endroit où il a aimé. Il s'arrête pour pleurer. On reconnaît là le début de la grande Mu'allaqa

d'Imru'lQays :Arrêtons-nous,pleurons au rappel de l'aimée…,ect. Le désert s'élargit tout autour, à perte de vue: la vacuité multiplie l'absence. Il se produit, pour ainsi dire,le choc d'une double négation, d'où va surjir la plénitude du poème .Or cette double négation va se retrouver dans la formule de l'unitarisme réligieux :Lâ ilâha illa Allâh» [43].

5- تحريف المعنى:

حين نقوم بنظرة فاحصة على كثير من الترجمات الاستشراقية لمعاني القرآن فإننا نلحظ بوضوح ذلك الخلط في معاني الألفاظ، واختيار أحد هذه المعاني لمجرد احتماله في اللغة، وترجيح استعماله في القرآن على هذا المعنى دون غيره، مع مخالفة ذلك للسياق الذي يدل على معنى آخر يحتمله اللفظ في اللغة. فكثيرة هي السياقات القرآنية التي جاءت مترجمة عند " جاك بيرك" على غير حقيقتها، قد يكون هذا ناتجا عن سوء فهم أو عن سوء نية. إن وقوعه في مثل هذه الأخطاء أمر خطير ينبغي التنبيه إليه و العمل على معالجته. و من هذه النماذج العبارة التالية:

ترجم قوله تعالى:❷ إِنَّ الصَفَا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَفَ بِهِمَا وَ مَنْ تَطَوَعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ☎ [44] .

Çafa et Marwa font partie des repérages de Dieu quiconque visite la Maison en pèlerinage communautaire ou privé pourra sans faillir tourner de l'un à l'autre.

-Prendre l'initiative d'un bien ….Dieu est sachantgré, connaissant. [45]

يترجم "جاك بيرك" بعض العبارات القرآنية بعبارات مختلفة لا تؤدي المعنى المطلوب، و من هذه العبارات نجد :

* visite la Maison: تعني: (زار البيت)، والصواب هو: qui fait le pèlerinage de la Maison بمعنى حج البيت، و كلمة الحج تحمل في الاسلام مدلولا مميزا، فكلمة زيارة لا تف معنى الحج.

* tourner de l'un à l'autre.: عبارة لها معنى(الدوران من واحد إلى الآخر)، و هي لا تف بالمعنى المقصود للآية الكريمة. و الصواب (fait le tour) أي يطوَّف.

* Prendre l'initiative: تعني: (خُذِ المبادرة)، و الترجمة الأقرب إلى المعنى (celui qui fait du bien de son plein-gré.)، ترجم سافاري وماسون وكازيميرسكي قوله تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُم وَ أَنْتُم لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ [46] و جعلوا معنى اللباس : الثوب أو الرداء [47] .

ففي ترجمة سافاري: Elles sont votre vêtement et vous êtes le leur

ترجمة ماسون:

Elles sont un vêtement pour vous, vous êtes pour elles un vêtement

ترجمة كازيميرسكي: Elles sont votre vêtement et vous êtes le leur

وهذه ترجمة حرفية مخالفة لمعنى اللباس في سياق الآية الكريمة، فالمعنى هنا حاجة كلا من الطرفين لصاحبه.

6- تأثر المترجم بالثقافة النصرانية و اليهودية:

ترجم قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ مُحَلِقِينَ رُؤُوسَكُم وَ مُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ [48]

Oui, Dieu s'est montré véridique envers son Envoyé, en sa vision de vérité . « Puisses-tu entrer dans l'Oratoire consacré , si Dieu veut , en toute sécurité, les cheveux rasés ou écourtés sur votre tête, sans avoir à craindre ».

Il sait ce que vous ne savez pas .Et d'ici-la il a décrété pour vous un succès prochain.[49]

لا شك أن كلمة مسجد في الإسلام تحمل خصوصية دينية متفردة، و طابع إسلامي متميز يميزها عن باقي أماكن العبادة في الديانات الأخرى. فإذا كان قارئ هذه الترجمة مسلما ،فإنه يصعب عليه فهم معنى مسجد من هذه الترجمة. أما إذا كان القارئ غير مسلم فإنه يفهم هذه الترجمة على أنها أديرة أو كنائس. كان لثقافة " جاك بيرك " النصرانية تأثيرا واضحا في ترجمته للفظة (مسجد)، و لعل أكبر دليل على ذلك ما أورده "جاك بيرك" عند ترجمته لكلمة (مسجد)، فقد اختار لذلك عبارة: l'Oratoire

consacré التي تعني عند المسيحيين : (البيت المقدس أو الكنيسة الصغيرة) .

إن المسجد الحرام هو بيت الله الذي أمر الله خليله إبراهيم عليه السلام ببنائه وجعله مسجدًا أي مكانًا لعبادته وحده لا شريك له، ولتفرد معنى كلمة المسجد وعدم وجود مرادف لها في الثقافات الأخرى، فإنها انتقلت إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية بلفظ قريب منها وهو: Mosquee [50] في الفرنسية لغة المترجم (جاك بيرك)، لكن تأثير ثقافته النصرانية عليه كان أقوى وهو يترجم معنى هذه الآية كما ظهر.

7- التقديم والتأخير والحذف والإضافة:

من أغرب ما وقع فيه "جاك بيرك" هو التصرف في تغيير أجزاء الآية الواحدة، من خلال التقديم و التأخير. إن هذا التصرف في تغيير مكان مقاطع من الآيات القرآنية لا يجوز حتى في النصوص العلمية و الأدبية،فكيف بذلك في القرآن الكريم؟. إن من الأمانة العلمية في مجال ترجمة النصوص، الاحتفاظ بترتيب الكلام حسب ما أراده صاحب النص الأصلي. من الخطأ أن نعتبر التغيير أمر هيّن لا يؤثر على معنى الآية القرآنية، لأن ترتيب السور توقيفيا، و كذلك هو ترتيب الآيات أيضا. من الآيات القرآنية التي تصرف في ترتيب مقاطعها المستشرق "جاك بيرك":

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أُذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَ عَلَىَ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلاً وَ إِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَوْرَاةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهاَ فَتَكُونُ طَائِراً بِإِذْنِي وَ تُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَ الأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَ إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وِ إِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [51] .

V 110 : Lors Dieu dit : « Jésus fils de Marie, rappelle-toi Mon bienfait sur ta mère et sur toi, quand Je te confortais de l'esprit de sainteté, te faisant parler dès le berceau comme à l'âge adulte; que Je t'enseignai l'Ecriture et la sagesse, la Torah, l'Evangile; et que tu créais d'argile comme une forme d'oiseau, non sans Ma permission ; et que tu soufflais sur elle, non sans ma permission ; et que tu guérissais l'aveugle et le lépreux, non sans ma permission ;que tu faisais sortir les morts non sans ma permission. Et quand Je dissuadai

les fils d'Israël de te suivre ; quand tu leur produisis avec des preuves, les dénégateurs d'entre eux dirent : « Ce n'est là que sorcellerie flagrante » (52)

فقد قدم عبارة (ta mère) على عبارة (sur toi) في ترجمته: Sur ta mère et sur toi

فجاءت الترجمة: (على أمك و عليك) فقد قدم كلمة(أمك) و أخر لفظة(عليك)، وهذا لايجوز لأن الترتيب في القرآن له دلالته. و الصواب هو: sur toi et sur ta mère .

* non sans : بمعنى" ليس بغير"،في العبارة (non sans ma permission)

و الصواب (avec / par) فتكون العبارة الصحيحة: par ma permission أي: بإذني

* tu soufflais sur elle أي تنفخ عليه، فقد استعمل لفظة (عليه) بدلا من لفظة (فيه)، و الصواب هو: en laquelle tu soufflais أي: فتنفخ فيها

ترجم " جاك بيرك"قوله عزّ و جل: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ (53) .

Vous est rendu licite, durant une nuit de jeune, ne sont -elles pas votre vêtures, et vous la leur? (54)

جاء معنى الترجمة:(ألسن لباس لكم ،و أنتم لهن ؟)

* ne sont -elles pas votre vêtures, et vous la leur? حول العبارة إلى صيغة الاستفهام،و هو ما لا يوجد في أصل الآية.

8- الإخلال بالأمانة ا لعلمية:

من المؤسف في هذا المجال الخاص بترجمة معاني القرآن الكريم أن يقع الإخلال بالأمانة العلمية عند من طرف بعض المستشرقين الذين اهتموا بترجمة معاني القرآن الكريم. و قد اتخذ هذا الإخلال جملة من المظاهر منها:

1- إخفاء الأدلة المضادة لما يذهبون إليه من الترجمات أو الاعتماد على مصادر معينة توافق رغباتهم و ميولهم وإغفال المصادر الأخرى التي تخالف ما يذهبون إليه في ترجمة معاني القرآن.

2- محاولة خداع القارئ بتعميم الأحكام على النص المترجم من خلال فهم فردي شاذ، أو غير ذلك من الأخطاء المخلّة بالأمانة العلمية.

المراجع والمصادر:

1- محمد أمين حسن، المستشرقون و القرآن الكريم، ص361.
2- م، ن، ص361.
3- الفيروز آبادي، القاموس المحيط،ج4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1979 ،ص 82.
4- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول، دار الجيل،ط1، بيروت، 1988، ص316.
5- أحمد حسن فرحات، في علوم القرآن عرض و نقد وتحقيق، دار عمار، عمان ، ط1، 2001م، ص 275.
6- محمد أمين حسن، المستشرقون و القرآن الكريم، ص363.
7- أحمد حسن فرحات، المرجع السابق، ص ص276.
8- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة،1995، ص307.
9- نقلا عن: محمد الصالح البنداق، المستشرقون و ترجمة القرآن الكريم، دار الآفاق الجديدة، بيروت،ط1980،1، ص131
10- يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق،ص14.
11- نقلا عن محمد حسين علي، المستشرقون و الدراسات القرآنية، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت،ط1 ،1983،ص23.
12- محمد صالح البنداق، المستشرقون و ترجمة القرآن الكريم، ص97.
13- نقلا عن::أحمد عبد الحميد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، المنتدى الإسلامي، لندن،1990،ص35.
14- قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية و الافتعالية، دار الرفاعي،الرياض،1983،ص67.
15- محمد صالح البنداق، المستشرقون و ترجمة القرآن الكريم ، ص101-108.
16- نقلا عن: محمد أمين حسن، المستشرقون و القرآن الكريم، ص394.
17-نقلا عن:عبد المحسن بن زين المطيري، دعاوي الطاعنين في القرآن الكريم، دار البشائر الإسلامية، الكويت، 2003، ص73.
18-نقلا عن: م، ن، ص73.
19- محمد محمد أبوليلة، القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، دار النشر

للجامعات،مصر،ط1، 2002، ص383.

20- نقلا عن: عبد المنعم فؤاد، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، مكتبة العبيكان،الرياض،ط1، 2001، ص160.

21 - محمد محمد أبوليلة، القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، ص385.

21- إدوارد سعيد،الاستشراق، مؤسسة الأبحاث العربية ،ترجمة :كمال أبو ديب،بيروت،ط5، 2001، ، ص265.

22-عبد اللطيف الطيباوي: المستشرقون الناطقون بالإنكليزية ،تر: قاسم السامرائي، مطبوعات جامعة الامام محمد بن سعود،الرياض،1991،ص 22.

23- محمد البهي: الفكر الاسلامي الحديث و صلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبة، القاهرة، ص 431.

24- محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ،،دار المعارف، القاهرة، 1997، ص76.

25- عبد الرحمن الميداني: أجنحة المكر الثلاثة(التبشير-الاستشراق-الاستعمار)،دار القلم،دمشق،ط8،2000، ص153.

26-يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، ترجمة: عمر لطفي العالم، دار الكتب الوطنية، لبيا، ط 2، 2000 ، ص17.

27-عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين،بيروت،ط3، 1993، ص 442.

28- محمد محمد أبو ليلة، القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، دار النشر للجامعات، ط 1،مصر، 2002م،ص 384.

29- محمد صالح البنداق ،المستشرقون و ترجمة القرآن الكريم، دار الآفاق الجديدة،بيروت،ط2،
1983. ،ص104.

30- أحمد عبد الحميد غراب، رؤية اسلامية للاستشراق، ط1، دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، الرياض، 1408هـ ، ص35.

31- م ، ن ، ص 34.

32-إبراهيم خليل أحمد، المستشرقون و المبشرون في العالم العربي و الإسلامي، مكتبة

الوعي العربي، القاهرة ، 1964 ، ص58.

33- أحمد عبد الحميد غراب، رؤية اسلامية للاستشراق، ص36.

34- عبد الراضي محمد عبد المحسن ،الغارة على القرآن الكرين، دار قباء – القاهرة – 2001م.،ص47.

35-محمد صالح البنداق، المستشرقون و ترجمة القرآن الكريم، ص 99.

37- البقرة :213.

38 - Jacques Berque , Le Coran, essai de traduction, Ed:Maison-neuve,Paris,1995,p 55.

39- الإسراء :59.

40- Jacques Berque , Le Coran, essai de traduction, p300.

41- الغاشية:17.

42- محمد البنداق، المستشرقون و ترجمة القرآن الكريم، ص 125.

43-Jacques Berque ,Relire Le Coran , Editions Albin Michel,Paris,1993,p119-120.

44- البقرة:158.

45- Jacques Berque , Le Coran, essai de traduction, p 46.

46- النبأ:10.

47-محمد صالح البنداق، المستشرقون و ترجمة القرآن الكريم، ص126.

48- الفتح :27.

49-. Jacques Berque , Le Coran, essai de traduction, p 558.

50- جوزف نعوم حجار،،المنجد، دار الشروق، بيروت، ط 4 ،1991 ، ص1364.

51- المائدة:110.

52 - Jacques Berque , Le Coran, essai de traduction, p 138.

53- البقرة:187.

54- Jacques Berque , Le Coran, essai de traduction, p 51.